

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٩٩ : خ ١ - لا فقر أشد من الجهل ، خ ٢ - مركز تنظيم التنفُّس .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٨-٠١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .
وأشهد أنّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر .
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيّدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومَنْ والاه ومَنْ تبعه إلى يوم الدين .
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

قال عليه الصلاة والسلام : لا فقر أشد من الجهل .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى النبي عليه الصلاة والسلام فقال له : يا رسول الله أوصني . وإليكم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا فقر أشد من الجهل ...))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أن يكون الإنسان جاهلاً فهو أفقر الفقراء ، لأن الجهل سبب كل معصية ، والمعصية سبب كل مصيبة ، بالجهل نعصي ، وبالمعصية نُصاب ، فمن كان جاهلاً فقد كان عدو نفسه ، يجهل طريقة معاملة الزوجة ، فيطلقها ، أو يعيش معها في جحيمٍ لا يطاق ، يجهل في التعامل مع الناس ، فيكسب العداوات ، يجهل في علاقاته المالية ، فيقع في الربا ، فيدمر الله ماله ، يجهل في علاقته برَبِّ ، فيحرم نفسه نعمة الاتصال بالله ، فيعيش في القلق ، والهَم ، والحزن ، والشك ، وعدم التوازن .
إن الجهل سبب كل مصيبة ، لا فقر أشد من الجهل ، والجاهل عدو نفسه ، وعدوٌّ عاقل خيرٌ من صديقٍ جاهل ، والجهل وراء كل معصية ، والمعاصي وراء المصائب .
فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصية النبي عليه الصلاة والسلام :

((لا فقر أشد من الجهل ...))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

بل إن رتبة العلم أعلى الرتب ، بالعلم تعرف الله ، فتسعد به في الدنيا والآخرة ، بالعلم تعرف ما لك وما عليك ، بالعلم تعرف لماذا أنت على ظهر الأرض ، وماذا بعد ظهر الأرض ، وما حالك في بطن الأرض ، وما حالك يوم العرّض ، بالعلم تعرف كيف تعامل الزوجة ، فتسعد بها ، ولو لم تكن كما ينبغي ، بالعلم تعرف كيف تعامل الناس ، فيحبك الناس ، ويثقون بك ، بالعلم تكسب المال الحلال ، فيبارك الله لك فيه ، بالعلم تعرف أن هذه الدنيا فانية ، تتعلّق بالباقي وتترك الفاني .

قال عليه الصلاة والسلام : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنها قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجه ابن ماجه]

فريضة كفريضة الصلاة ، لو لم تطلب العلم لكنت في الجهل قطعاً ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾

[سورة يونس الآية : ٣٢]

ليس في الحياة حالة بين الحالتين ، إما أن تكون مؤمناً ، وإما أن تكون غير ذلك ، إما أن تكون على الحق ، وإما أن تكون على الباطل .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨]

إما أن تكون مؤمناً ، وإما أن تكون فاسقاً ..

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة القلم الآية : ٣٥]

إما أن تكون مسلماً ، وإما أن تكون مجرماً . ولو بحق نفسك .

ما هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي ؟

١ - لا فقر أشد من الجهل .

فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

((لا فقر أشد من الجهل ...))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

لا يقعدن أحدكم عن طلب العلم ، اطلب العلم من المهد إلى اللحد .

((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها))

[أخرجه الترمذي]

احضر مجالس العلم ، تعلم تفسير القرآن ، افهم كلام الله ، تعلم سنة رسول الله ، تعلم الأحكام الفقهية ، تعلم ما ينبغي أن تفعله في الدنيا .

((لا فقر أشد من الجهل ...))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شيء آخر يؤكد هذه الوصية : يقول عليه الصلاة والسلام :

((القرآن غنى لا فقر بعده ، ولا غنى دونه))

[أخرجه أبو يعلى]

ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدنتي وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء .

((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجه ابن ماجه]

أي على كل شخص مسلم ذكرٍ كان أم أنثى .

٢- ولا مال أعود من العقل .

يا أيها الإخوة الأكارم ... نتابع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ولا مال أعود من العقل))

بالعقل تجلب المال ، وبالحمق تبده .

((تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتاً ، إن الرجلين ليستوي عملهما ، وبرهما ، وصومهما ،

وصلاتهما ، ويختلفان في العقل كالذرة جنب أحد ، وما قسم الله لعباده نصيباً أوفر من العقل واليقين))

[من كنز العمال عن طاوس]

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾

[سورة الحشر الآية : ٢]

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

[سورة يس الآية : ٦٨]

أفلا يتذكرون . أفلا يفكرون . والله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حثنا على التفكر فقال :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[سورة محمد الآية : ٢٤]

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الصافات الآية : ١٥٤]

أين تذهبون . أنى تُصرفون ..

﴿ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة النمل الآية : ٦٢]

((ولا مال أعود من العقل))

بالعقل تجلب المال ، وبالحمق تبده ، بالعقل تجعل من الزوجة السيئة زوجةً صالحة ، وبالحمق تجعل الصالحة سيئة ، بالعقل تجلب قلوب الناس ، وبالحمق تُنْقِرهم .

((ولا مال أعود من العقل))

الله سبحانه وتعالى ميّز الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل ، فلو تخلّى عن عقله لكان كل حيوانٍ أعظم منه ، فهناك حيوانٌ أقوى من الإنسان ، وهناك حيوانٌ أشد حساسيةً في سمعه من الإنسان ، وهناك حيوانٌ أشد حساسيةً في شمّه من الإنسان . تحدثنا عنه في الخطبة السابقة. وهناك حيوانٌ أشد إبصاراً من الإنسان ، وهناك حيوانٌ أكبر حجماً من الإنسان ، وهناك حيوانٌ أنقل وزناً من الإنسان ، ولكن الإنسان سيّد المخلوقات جميعها ، لأن الله عزّ وجل وهبه العقل ، فلو تخلّى عن عقله ، فلو عطّله ، فلو أساء استخدامه ، فلو سخّره لأغراضٍ رخيصة ، لغاياتٍ دنيئة ، فقد احتقر نفسه ، واحتقر عقله ..

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٣٠]

هذا الذي لا يستخدم عقله يحتقر نفسه ، يجعلها سفيهةً .

٣- ولا وحدة أوحش من العجب .

وصيةٌ ثانية من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ولا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب))

هذا الذي يعجب بنفسه ، تعجبه نفسه ، فيحتقر الآخرين ، لا يصغي إلى نصائحهم ، لا يهتم بهم ، يرى نفسه فوقهم ، يستغني عن مشورتهم إنه في صحراءٍ موحشة ، هي صحراء العُجب ، وقد قيل : لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر ، وما هو الذي أكبر من الذنب؟ إنه العجب .

((ولا وحدة أوحش من العجب))

الذي يختال عجباً بنفسه ، وكبراً على خلق الله عزّ وجل يبعد عنه الناس ، يبتعدون عنه ، يدعونه وحده في صحراء موحشة ، من استشار الرجال فقد استعار عقولهم ، لا تُعجَب بنفسك ، لا تر نفسك فوق الآخرين ، كن مع الناس ، تواضع لهم ، ادخل على الله من باب الذل والمسكنة ، ولا تدخل عليه من باب العجب فإن باب العجب مُغلق .

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))

[من الجامع لأحكام القرآن]

((ولا وحدة أوحش من العجب))

هذه هي الوصية الثالثة .

((ولا استظهار أوثق من المشاورة))

أي لا تقوى على حل مشكلاتك إلا أن تشاور المؤمنين ..

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٥٩]

خذ رأي إخوانك ، خذ رأي المؤمنين ، خذ رأي المُخلصين ، اسألهم : ما الحل ؟ ما الرأي ؟ من استشار الرجال فقد استعار عقولهم .

تستعير عقل إنسانٍ ناضج ، خبر الحياة ، وعرف حلوها ومرّها بسؤالٍ طفيف : ماذا أفعل في هذه المشكلة ؟ كيف أتصرّف ؟ جاءني هذا الخطيب الفلاني ، أزوجه ابنتي ؟

النبي عليه الصلاة والسلام سئ لنا الاستخارة ، وسن لنا الاستشارة ، فالاستخارة لله عزّ وجل ، والاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين ، في كل حركاتك وسكناتك ، في كل تصرفاتك استشر ، اسأل ، أكثر المشكلات الكبرى ، والمصائب العظمى كانت بسبب الجهل وعدم الاستشارة .

((ولا استظهار))

الاستظهار هو الاستعانة بالآخرين .

((ولا استظهار أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير))

هذا الذي يدبّر أموره ، هذا الذي يخطط لمستقبله ، هذا الذي يخطط لأولاده ، هذا الذي يعيش لحظته ويعيش مستقبله ، هذا الذي يُعدّ العدة للموت ، هذا الذي يعدّ العدة للأخرة ، هذا الذي يفكر فيما سيكون لا فيما هو كائن ، هذا الذي يدبّر أموره ، هذا الذي يُحكّمها ، الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكفر بقولٍ موجزٍ بليغ ، قال :

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٢٨]

أموره مضطربة ، علاقاته مضطربة ، أعماله مضطربة .

((ولا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحسن الخلق))

لا تقل : أنا ابن فلان ، أنا جدي فلان ..

لا تقل :

أصلي وفصلي أبدا إنما أصل الفتى ما قد حصل

* * *

ما حصَّله من علم ، ما حصله من خُلق .

((ولا حسب كحسن الخُلق))

ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة .

﴿ وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم الآية : ٤]

الإسلام بناءً عظيم هو بناءً أخلاقيّ في الدرجة الأولى ، بني على دعائم الإسلام ، وهي الصلاة والصوم ، والحج والزكاة ، والشهادتان .

٧- ولا ورع كالكف .

((لا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف))

ترك مالٍ من حرام ، هو الورع ، ترك لقاءٍ فيه معصية ، هو الورع ، ترك أكلَةٍ فيها شبهة ، هي الورع ، ترك حفلةٍ فيها معصية ، هي الورع ، ترك فتاةٍ مخطوبةٍ في دينها رقةً ، هو الورع ، ترك صفقةٍ فيها شيءٌ من الحرام ، هو الورع ، ترك صحبة امرئٍ يعصي الله ، هو الورع ، هو الورع ، ترك الكف ، وركعتان من ورع خيرٌ من ألف ركعة من مُخلَط .

٨- ولا عبادة كالتفكر .

((ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر))

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران الآيات : ١٩٠-١٩١]

تفكروا في مخلوقات السماوات والأرض ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا ..

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ ﴾

[سورة عبس الآيات : ٢٤-٣٢]

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾

[سورة الطارق الآيات : ٥-٨]

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة يونس الآية : ١٠١]

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

[سورة الشمس الآيات : ١-٨]

هذه عبادة ، ولا عبادة كالتفكّر ، إن التفكير في آيات الله عزّ وجل هي أرقى أنواع العبادة .

٩- ولا إيمان كالحياء .

((ولا إيمان كالحياء))

علامة الإيمان الحياء ، علامة الإيمان أن تستحيي من الله عزّ وجل ، قالوا : يا رسول الله وما حق الحياء ؟ قال :

((أن تحفظ الرأس وما وعى))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

ألا تنظر إلى حرام ، وألا تستمع الخنا ، وألا تتطرق بالباطل ، وألا تغتاب المسلمين ، وألا تتبّع عوراتهم ، وألا تقع في الغيبة ، أو النميمة ، أو الفُحش ، أو البذاءة ، أو الخصومة ، هذا هو الحياء من الله عزّ وجل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١]

الخلاصة :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ كلمات قليلة في عددها ، خطيرة في فحواها ، قليلة في ألفاظها ، عميقة في معانيها : يا رسول الله أوصني . فقال عليه الصلاة والسلام :

((لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا استظهار أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحُسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكّر ، ولا إيمان كالحياء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول عليه الصلاة والسلام عن نفسه :

((أوتيت جوامع الكلم))

[أخرجه أبو يعلى]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((نضّر الله وجهه من أوجز في كلامه واقتصر على حاجته))

[ورد بالأثر]

والبلاغة في الإيجاز ، وهذه وصية لو أخذ بها الناس لسعدوا في الدنيا والآخرة .

* * *

على ذكر الوصية : يسُنُّ لكل رجلٍ أن يوصي أولاده قبل موته ، يسن له أن يعلمهم في حياته ، أن يعلمهم أمر دينه ، أن يعلمهم كتاب ربهم ، أن يعلمهم سنة نبيهم ، أن يدعوهم إلى التعلم ، إن لم يكن عالماً فعليه أن يحثهم على التعلم ، لأن هذا الابن في ذمة أبيه يوم القيامة ، وقد يقول الابن لله عز وجل يوم القيامة : يا رب لا أدخل الناس حتى أدخل أبي قبلي ؛ لأنه لم يعلمني ، لم يفقهني . فإما أن تعلمه ، وإما أن تدعوه إلى العلم .

وقد يُسُنُّ أن يوصي الإنسان أولاده وصيةً مكتوبةً قبل موته ، ويظن معظم الناس إلى أن الوصية لها طابعٌ ماديٌّ في الدرجة الأولى ، المبلغ الفلاني لفلان ، والبيت الفلاني لفلانة ، والدُكان الفلاني لزيد ، وهذا لعبيد ، وهذا لعلائن . الوصية التي سنّها النبي عليه الصلاة والسلام أعمق ، وأوسع ، وأشمل من أن تكون قضايا مالية فحسب .

فالسلف الصالح كان يكتب لأولاده وصية ، بخط يده . إن أمكنه ذلك . من أجل أن تكون لهم دستوراً في حياتهم ، وقد أخذ هذا من كتاب الله عز وجل .

وصية سيدنا جعفر لولده .

سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه أوصى ولده فقال :

يا بني اقبل وصيتي ، واحفظ مقالتي ، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً ، يا بني إنه من قنع بما قُسمَ له استغنى ، ومن مدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً .
هذا الذي ينظر إلى فلان ؛ بيت فلان أوسع من بيتي ، ودخله أكبر من دخلي ، وتجارته أروح من تجارتي ، وزوجته أفضل من زوجتي ، وأولاده أبرار ، وأولادي ليسوا كذلك . هذا الذي يمد عينيه إلى ما عند غيره يمُت فقيراً .

يا بني إنه من قنع بما قُسمَ له استغنى ، ومن مدَّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه .

هذا الذي لا يرضى بما قسمه الله من حظوظ الدنيا ، كأنه يتهم الله في حكمته ، يتهمه في عدالته ، يتهمه في رحمته ، يتهمه في حكمته .

يا بني من لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلةً غيره استعظم زلة نفسه .
الناس ليسوا كذلك ، يستعظمون زلة الآخرين ويستصغرون زلة أنفسهم ، كن على عكس ذلك . استصغر ذنب الآخرين واستعظم ذنب نفسك .

يا بني من كشف حجاب غيره ، انكشفت عورات بيته .

من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في قعر بيته .

يا بني من كشف حجاب بيته انكشفت عورات بيته ، ومن سلَّ سيف البغي قُتِلَ به ، ومن احتقر لأخيه حفرةً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقر .

أن تسير مع السفهاء ، أن تسمر معهم ، أن تسهر معهم ، أن تُرافقهم ، أن تمازحهم ، أن تقيم بينك وبينهم علاقاتٍ حميمة ، هذا مما يحقِّرك عند الناس . لذلك الفقهاء لا يأخذون بشهادة من صحب الأراذل ، صحبة الأراذل تجرح العدالة .

ومن داخل السفهاء حقير ، ومن خالط العلماء وقير .
إذا خالطت من هو أرقى منك عند الله ، تتعلم من أخلاقه ، من محبته لله ورسوله ، من ورعه ، من حكمته، من لطفه .

ومن دخل مداخل السوء اتهم .

معاوية بن أبي سفيان سأل عمرو بن العاص فقال :

يا عمرو ما بلغ من دهائك ؟

قال : والله يا أمير المؤمنين ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه .

قال : لست بدهاية ، أما أنا والله لا أدخل مُدخلاً أحتاج أن أخرج منه .

ومن دخل مداخل السوء اتهم .

النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق ، وحبيب الحق ، جاءت زوجته إلى المسجد وكان معتكفاً ، جاءت به بطعام ، فأراد أن يوصلها إلى البيت ، في الطريق مرَّ بهما صحابي ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا فلان هذه زوجتي فلانة . قالوا : أفيك نشك ؟ قال : إن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم .

البيان يطرد الشيطان .

ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يقول الإمام علي كرم الله وجهه : لا تضع نفسك في مواضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك .

يا بني قل الحق لك أو عليك . هذه علامة الإيمان . وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه .

عليك بأهله ، لا تقف على باب اللئيم ، لا تطلب المال من اللئيم ، لا تطلب المعونة من اللئيم .

يقول الإمام علي كرم الله وجهه : والله والله مرتين ، لحفر بئرين بإيرتين . هذا مستحيل . وكنس أرض الحجاز في يوم عاصفٍ بريشتين . أشد استحالةً . ونقل بحرين بمنخلين ، وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين . كل هذه مستحيلات . أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين .

أيها الإخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطأنا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وليّ الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أجهزة الإنسان :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول بعضهم : شدة القرب حجاب ، هناك آية صارخة دالة على عظمة الله عز وجل ، لشدة قربها منا ، فكأننا لا نراها ، منها التنفس .

ينام الإنسان ملء عينيه ، وورثاه تخفقان بانتظام .

ينام الإنسان ملء عينيه ، وقلبه يضرب بانتظام .

ينام الإنسان ملء عينيه ، وجهازه الهضمي يعمل بإحكام .

ينام الإنسان ملء عينيه ، وجهاز التصفية يعمل بدقة مذهلة .

لو أن جهاز التصفية ، وجهاز الهضم ، وجهاز الدوران ، والقلب ، والرئتين ، كانت منوطاً إلينا ، هل منا من يستطيع أن ينام لحظة ؟ أو أن يعمل لحظة ؟ أو أن يجلس مع أخيه لحظة ؟

هذه الآيات الكبيرة ، هي الأفعال اللاإرادية ، إنها تعمل بشكلٍ مذهش ، بدقة ما بعدها دقة ، بحكمة ما بعدها حكمة ، بتدبير ما بعده تدبير .

قال العلماء : هناك مراكز للأعمال اللاإرادية تتحكم في ضربات القلب ، ووجيب الرئتين ، وعملية الهضم ، وعملية الإفراز ، وأعمال كثيرة ، لا يعلمها إلا الله ؛ أعمال الغدد الصماء ، البنكرياس ، الكبد ، الكظر ، الدرقية ، النخامية ، وأجهزة ، وغدد ، وأعمال معقدة ، والتوازن الحراري ، وتوازن السوائل ، وتوازن ضربات القلب ، وأعمال كثيرة أخرى تتم بشكل لا إرادي .

قال العلماء : هناك في البصلة السيسائية ، التي هي في القسم السفلي ، من جذع الدماغ ، عقدة الحياة ، في هذه العقدة . استمعوا :

مركز تنظيم التنفس ، ومركز تنظيم ضربات القلب ، ومراكز الأوعية ، تتسع وتضيق من هنا ، ومركز البلع ، ومركز المضغ ، ومركز التصويت ، ومركز توازن السكري ، ومركز العرق ، ومركز اللعاب ، ومركز النوم واليقظة ، ومركز المشي ، ودورة الحيض ، وحرارة البدن ، ومركز الغدد التناسلية ، في القسم الأسفل من جذع الدماغ ، يسمّى هذه المكان عقدة الحياة وهو أخطر مكان في الإنسان ، لو أصيب بخلل مات الإنسان فوراً .

جهاز التنفس :

لنأخذ فقط مركز التنفس :

قال : في هذا الجذع بُعْتَان ؛ بقعةٌ للشهيق ، وبقعةٌ للزفير ، إن غاز الفحم المتواجد في الدم ينبه الشهيق والزفير ، إذا نُبِه مركز الشهيق تَبَط مركز الزفير ، وإذا نبه مركز الزفير تَبَط مركز الشهيق ، لو نُبِها معاً لاضطرب الأمر ، تنبيه أحدهما تثبيطٌ للآخر ، شيءٌ عجيبٌ ، شيءٌ يأخذ بالألباب .

شيءٌ آخر ، هناك تنفسٌ إرادي ؛ يستطيع الإنسان بإرادته أن يحدث شهيقاً إرادياً ، أو زفيراً إرادياً ، هناك مركزٌ يأتي من الدماغ ، للشهيق الإرادي ، والزفير الإرادي ، هذا المركز ، إن كنت غافلاً عنه ، يعمل بشكلٍ ذاتي ، ما الذي ينبه هذين المركزين ؟ غاز الفحم الذي في الدم ، فإذا تراكم غاز الفحم ، وكثر في الدم ، تضاعف الشهيق والزفير ، لو أن الإنسان غطّى رأسه بالغطاء ، وقل الأوكسجين في الفراش ، وكثر غاز الفحم ، ليراقب نفسه ، يزداد وجيب رئتيه ، من دون أن يشعر ، هذا الشهيق والزفير السريع ، بسبب ازدياد غاز الفحم ، غاز الفحم الذي ازداد في الدم ، نبّه مراكز الشهيق والزفير ، فضاعفت حركاتها ، ونحن لا ندري ، نحن غافلون ، الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء .

يقول العلماء : لو زاد غاز الفحم اثنان بالعشرة عن كميته النظامية في الدم ، تضاعف التنفس ، ولو قلَّ غاز الفحم اثنان بالعشرة عن كميته النظامية في الدم ، لتوقّف التنفس ، ما هذا التوازن؟! إذا ارتفع غاز الفحم في الدم ، من دون أن ينبه مراكز التنفس ، دخل الإنسان في غيبوبةٍ ثم مات ، وهؤلاء الذين يختنقون ، في الحمام أحياناً بسبب استخدام وقود غازي مثلاً ، ما السبب ؟ ارتفاع نسبة غاز الفحم في الجو ، وبالتالي في الدم ، وبالتالي يتوقف التنفس ، فيموت الإنسان .

فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا النفس ، وهاتان الرئتان .

ننام ملء العيون ، والرئتان تعملان بانتظام .

ننام ملء العيون ، والقلب يضرب بانتظام .

ننام ملء العيون ، والغدد الصماء تقوم بأعمالٍ مدهشة بانتظام .

ننام ملء العيون ، وجهاز الهضم ؛ يتحرك ، ويعمل ، ويفرز بانتظام .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾

[سورة الطور الآية : ٣٥]

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : ٢١]

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٥٣]

هذه الفكرة مأخوذة من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عبادة كالتفكير .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، سبحانك إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، مولانا رب العالمين .

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عُضال الداء، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا أرحم الراحمين .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين .

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين